مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٥:٢٢–٢٦؛ ٦:١و٢)

يا إخوة إنَّ ثـمرَ الروحِ هـو المحبَّةُ والفرحُ والسلامُ وطولُ الأناةِ واللطفُ والصلاحُ* والإيمانُ والوداعةُ والعفاف. وهذه ليسَ ناموسٌ ضِدَّها* والذين للمسيح صَلَبوا أجسادَهم مع الآلامِ والشهوات* فإنْ كنَّا نعيشُ بالروحِ فلنسلُكْ بالروحِ أيضاً* ولا نكُنْ ذوي عُجبٍ ولا نُغاضِبْ ولا نَحسُدْ بعضُنا بعضاً* يا إخوةُ إذا أُخِذَ أحدٌ في زلَّةٍ فأصلِحوا أنتم الروحيِّينَ مثلَ هذا بروحِ الوداعةِ. وتبصَّرْ أنتَ لنفسِكَ لئلاَّ تُجرَّبَ أنتَ أيضاً* إحملوا بعضُكم أثقالَ بعضٍ وهكذا أتِمُّوا ناموسَ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٢:١٦–٢١)

قال الربُّ هذا المثَل. إنسانٌ غنيٌّ أخْصَبَتْ أرضُهُ* ففكَّر في نفسِهِ قائلاً ماذا أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضِعٌ

القديس أمبروسيوس

في السابع من كانون الأول تُعيِّد الكنيسة المقدسة للقديس أمبروسيوس أسقف ميلان، وهو برز مناضلاً شرساً عن الإيمان القويم في الغرب.

وُلد أمبروسيوس عام ٣٤٠ في تريفيا في بلاد الغال (فرنسا الحالية)، لأبوين مسيحيين رومانيَّي الأصل رفيعَيْ النسب والنفوذ. والده كان حاكماً لمقاطعة الغال، وكان له أخوان قديسان: مرسيلينا البتول وساتيروس.

توفي الوالد وأمبروسيوس وإخوته بعد صغار، فعادت بهم الأم إلى روما مسقط رأس العائلة. هناك تتلمذ قديسنا على كبار المعلّمين فلمع في كل ما درس خاصة الخطابة. ومن روما إلى ميلان حيث درس القانون بنبوغ لافت، فشاع ذكره حقوقياً فذاً حتى عيّنه الإمبراطور فالنتينيانوس الأول والياً على مقاطعة ليغوريا – إميليا وعاصمتها ميلان. وفي كلمة كأنها نبوءة، قال له والي إيطاليا الفاضل أنيسيوس بروبُس: «إذهب واحكم لا كقاض بل كأسقف»، حاثاً إياه على الرحمة والحلم في القضاء. عمل بهذه النصيحة فنال من الناس، لحكمته وفضائله، كل تقدير ومحبة.

مات أسقف ميلان (وكان آريوسياً) سنة ٣٧٤ فاجتمع الناس في الكاتدرائية الأم لاختيار من يخلفه. انقسم الحاضرون بين آريوسيين وأرثوذكسيين وبات اختيار أسقف يتوافق عليه الجميع متعذراً، وكادت تتفاقم الأمور إلى حد الشغب والقتال. وما أن وقف أمبروسيوس في وسطهم حتى أعطاه الكل الآذان الصاغية وهو يخطب فيهم بمنطق الحكمة والسلام وعبارات الوداعة والمحبة. بلغت كلماته من قلوب سامعيه أعمق مبلغ وتلاشى الخصام: «أمبروسيوس أسقف». هاله أمر ما سمع، خاصة وأنه لم يكن قد اقتبل المعمودية المقدسة بعد، فهرب من الكاتدرائية هائماً عدّة أيام والناس في إثره أينما ذهب. كتب إلى الإمبراطور شارحاً أمره فما كان من هذا الأخير، الذي أراح باله إجماع الشعب على أمبروسيوس، إلا أن أصدر أمراً بتثبيت الإنتخاب. أذعن قديسنا لما فهمه مشيئة إلهية فأطاع، واقتبل العماد المقدس وسيم شماساً فكاهناً فأسقفاً في ثمانية أيام.

منذ تلك اللحظة قطع أمبروسيوس ذاته كلياً لمهامه الرعائية الجديدة.

العدد ٤٩/٢٠٠٤

الأحد ٥ كانون الأول

تذكار أبينا البار المتوشح بالله سابا المتقدس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الخامس

أخْزُنُ فيهِ أثماري* ثمَّ قال أصنعُ هذا. أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غلاَّتي وخَيْراتي* وأقولُ لِنفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنينَ كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرحي* فقال لهُ اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لمن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِهِ ولا يستَغني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَنْ لهُ أُذُنانِ للسمْعِ فليسمَعْ.

تأمل

أنواع التجارب اثنان: إمّا أن تجعل الشدائدُ النفوسَ تمرّ بالعذاب مثل الذهب في البوتقة لكي تُمتحن قيمتها بالصبر، إما أن يكون النجاح في الحياة سببًا لتجربة الكثيرين. لأنه كما من الصعب أن يحفظ الواحد نفسه مستقيمة في وسط الصراعات كذلك من الصعب في وسط النجاح أن لا يتكبّر ولا يتعالى. ونموذج النوع الأول من التجارب هو أيّوب الكبير المجاهد الأول. لقد واجه قوّة الشيطان كلها مثل فيضان النهر بقلب لا يتزعزع وبحكمة لا قياس لها وظهر أقدر من كل التجارب بالرغم من عظمتها واستمرارها. والمثل أيضًا عن النجاح الذي يصبح

وزع أمواله على الفقراء ووقف أملاكه كلها للكنيسة، وفرض على نفسه قانوناً نسكياً صارماً في الصوم والصلاة وتأمل الأسفار الإلهية وتعاليم الآباء تحت إرشاد كاهن قديس اسمه سمبليسيانوس. من معين الآباء ومعلّمي الكنيسة الكبار، لا سيما باسيليوس الكبير وأوريجنّس، غرف الأسقف الجديد أركان الإيمان القويم كالعطشان، وصارت هذه سلاحه الأمضى في وجه الآريوسيين الذين كانوا قد قبلوا به في الأساس أسقفاً أملاً في تطويعه وضمّه فيما بعد. طيلة سنوات أسقفيته الخمس والعشرين استبان القديس أمبروسيوس بطل الأرثوذكسية في الغرب، بالغيرة الإلهية والوعظ والتأليف، دون أن يهمل الجانب التنظيمي والإداري لأسقفيته. فقد جعل من مقر مطرانيته مركز القرار لشؤون الأبرشيات من إيطاليا حتى مقدونيا، لا سيما وأن ميلان كانت قد صارت مقر إمبراطور الغرب، فأمسى كالنسر يقتنص الآريوسيين أينما حلّوا.

سنة ٣٧٩ آلت إمبراطورية الشرق إلى ثيودوسيوس التقي، الذي كان يكنّ للأسقف القديس محبة ملؤها الاحترام والتقدير، وهو نفسه كان أرثوذكسياً صميماً معنياً بهموم الكنيسة غيوراً عليها. وفي تموز من العام ٣٨١، دعا إمبراطور الشرق الجديد آباء الكنيسة إلى مجمع (المسكوني الثاني) في القسطنطينية، بالتزامن مع مجمع أكيليا المكاني الذي حتّم نهاية الآريوسية في الغرب، وكان أمبروسيوس وراء انعقاده. طيب العلاقات مع ذوي النفوذ والسلطان لم يعطّل لدى أمبروسيوس حس الغيرة على مصالح الكنيسة واستقلالها عن أي سلطان زمني، والأمثلة على هذا كثيرة. مرة أرسل امبراطور الغرب فالنتينيانوس الثاني، متأثراً بأمة الآريوسية، آمراً إلى أسقف ميلان القديس بتسليم كنيسته. فما كان من القديس إلا أن واجه مبعوثي الإمبراطور ببأس قائلاً «عودوا إلى سيدكم وقولوا له لا يسلّم أسقفٌ هيكلَ الله لأي كان، مهما علا شأنه». وبقي مع مؤمنيه متحصناً داخل الكنيسة من أحد الشعانين حتى الخميس العظيم، صاداً عساكر الإمبراطور بالصلوات والموعظة الحسنة.

في حادثة أخرى بعد سنوات، وبينما كان ثيودوسيوس في أوج تألقه، ثارت في سالونيك أعمال شغب ارتد عليها الإمبراطور قامعاً بمذبحة حصدت أكثر من سبعة آلاف دونما تمييز. وصل الخبر إلى مسامع الأسقف القديس، وصادف وجود ثيودوسيوس في مدينة ميلان الإيطالية فرغب بالدخول إلى الكاتدرائية للمشاركة في القداس الإلهي. خرج إليه أمبروسيوس، بجرأة وصدقية أبناء الله، ومنعه من الدخول بل وألقى عليه حرماً كنسياً لا يُحَلّ إلا بالتوبة العميقة والاعتراف العلني (الذي كان سائداً تلك الأيام) دام ثمانية أشهر. وفي يوم عيد ميلاد مخلّصنا يسوع المسيح، أتى الإمبراطور إلى الكنيسة بعدما أتم زمان توبته ساجداً أمام قدمي الأسقف القديس ملتمساً منه الحل وبركة المشاركة في القدسات الإلهية. وعند المناولة دخل ثيودوسيوس إلى الهيكل ليتناول مع الإكليروس، فرآه القديس وأرسل إليه قائلاً: «أخرج من هنا وعد إلى مكانك مع بقية المؤمنين، فالأرجوان الذي على كتفيك وإن كان يؤهلك للمُلْكِ فإنه لا يؤهّلك للكهنوت». أطاع الإمبراطور وبقي على أمانته للأسقف القديس الذي قوّمه بكلام الحق وصار له مثال الأمانة التي لا محاباة فيها.

تجربة هو عند هذا الغني الوارد في إنجيل اليوم.

كان يتمتع بثروة كبيرة وينتظر أكبر منها. والله المحب البشر لم يحكم عليه منذ البدء بسبب تفكيره الذي لا يعترف بالنعمة بل أضاف عليه ثروة جديدة قائلاً: ربما يخلق في نفسه شبعًا واكتفاءً يدفع نفسه إلى الإحسان لأنه يقول: «إنسان أخصبت أرضه ففكر في نفسه ماذا أصنع، أهدم أهرائي وأبني أكبر منها». لماذا يا ترى أخصبت أرض إنسان لا يستعمل ثمرها لعمل الإحسان؟ لكي يظهر طول أناة الله وحسنه الذي وصل إلى ذاك الحدّ: هو يُنزل مطره سواءً على الأبرار والظالمين ويُشرق شمسه على الأشرار والصالحين. لكن مثل هذا الصلاح الآتي من الله يأتي بعقاب أكبر ضدّ الأشرار. لقد جلب الأمطار فوق الأرض التي عملت فيها أيادٍ بلا هوادة. أشرق الشمس لكي تدفئ الزرع وتكثر الأثمار بالخصب، هذه هي عطايا الله. كانت الأرض مناسبة وكذلك الأحوال الجويّة فأخصب الزرع وتأمّن كل ما كانت الزراعة تحتاجه للنجاح. فما كان بعد ذلك تصرّف الإنسان؟ لقد تصرّف بطريقة قاسية بلا إنسانية وحجب نفسه عن العطاء. هذا كان جوابه لله المحسن إليه. لم يفكّر بتوزيع

مشاغله الكثيرة وهموم رعيته لم تمنعه عن الكتابة والتأليف، وهو الذي جمع من المعارف والعلوم، الأرضية منها والسماوية، كمًّا وفيرا. فقد ترك عدداً من المؤلفات النفيسة في مجالات اللاهوت العقائدي والحياة الروحية والأخلاق المسيحية، إلى عدد من الأناشيد الكنسيَّة التي أغنت الليتورجيا اللاتينية لقرون عديدة.

في الرابع من نيسان سنة ٣٩٧ رقد القديس بسلام بالرب، وما زال جسده الطاهر في كاتدرائية ميلان حتى يومنا الحاضر. أما السابع من كانون الأول، فهو تاريخ سيامته الأسقفية وهو التاريخ المحفوظ في الكنيسة للإحتفال بتذكاره.

تعليم الرب يسوع: انقضاء الدهر (تابع)

قبل انطلاقه إلى الصلب يوضح الرب يسوع في الإصحاحين ٢٤ و٢٥ من إنجيل متى تعليمه حول نهاية الأزمنة والآخرة، وكأنها الخطبة الوداعية لتشديد التلاميذ وتحذيرهم مما سيواجهونه من تجارب المُضلّين الذين يسعون لإبعادهم عن ملكوت السموات. طبعاً موضوع الآخرة وانقضاء الدهر ومجيء الرب الثاني هو من المواضيع المهمة التي لطالما يتساءل حولها كل مؤمن، وعلى وترها تلعب البدع والهرطقات.

الرب يسوع جالس مع تلاميذه على انفراد في جبل الزيتون. يسأله هؤلاء: «قلْ لنا متى يكونُ هذا وما هي علامةُ مجيئكَ وانقضاءِ الدهرِ» (متى ٣:٢٤). في قراءة سريعة لجواب السيد (متى ٤:٢٤–٥٠) نلاحظ تنقله بين ثلاثة محاور وكأن الحديث عن أمر واحد. يتحدَّث أولاً عن نهاية العالم، ثم يتحدَّث عن دمار المدينة (أورشليم) وهو نهاية جماعة معيَّنة،

ثم يتحدَّث عن الموت الشخصي لكل إنسان منا. هذه الأمور الثلاثة مختلفة من حيث الشكل إنما تتلاقى في الجوهر: في جميعها تأتي آخرتك **أنت**، وهذا هو المهم. إذا متَّ أتت آخرتك، وإذا دُمِّرت مدينتك وفنيت مع الجماعة أتت آخرتك، وإذا صارت نهاية العالم فآخرتك أيضاً قد أتت. الصورة الأقرب إلى فهم البشر تبقى صورة دمار المدينة. لا تستطيع أن تتكلَّم عن موتك وما سيحدث لك من بعده، ولم يعد أيُّ ميت ليخبرنا عما حدث له. كما ان نهاية العالم لم تحدث بعد، لذا لا نستطيع الحديث عنها. إذاً لفهم الموضوع لا بد من صورة دمار المدينة التي يعرفها كل إنسان. مدينة تضج بالحياة وفجأة يمحوها زلزال عن وجه الأرض، أو قنبلة ذرية أو كيميائية. المهم أن لا نتلهى عن الجوهر المشترك وهو أن الآخرة ستصيبك أنت، إن بمفردك أو مع جماعتك أو مع كل الكون. المهم أنت وما هو وضعك في تلك اللحظة. لذلك «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمونَ في أيَّةِ ساعةٍ يأتي ربُّكم» (متى ٤٢:٢٤).

الآخرة شخصيَّة، وكل إنسان سيقف بين يدي الرب، أمام منبره المرهوب. هل سنعطي جواباً «حسناً لدى منبر المسيح المرهوب» كما نصلّي في القداس الإلهي والسَحَر والغروب؟ عندما تأتي الآخرة، في أي شكل من أشكالها الثلاثة، ليس هناك متسع من الوقت لتمييز العلامات. التمييز يجب أن تعمله أثناء حياتك وتقرر وقوفك إلى جانب المسيح الحق أو المسيح المُضل. عندما تأتي الآخرة لا وقت لإعادة حساباتك لأن كل شيء قد انتهى: «لأنَّه كما ان البرقَ يخرجُ من المشارقِ ويظهرُ إلى المغاربِ هكذا يكونُ أيضاً مجيءُ ابنِ الإنسانِ» (متى ٢٧:٢٤). قد تصيبكَ أزمة قلبية في منتصف الليل، ولا يكون لديك ولو لحظة واحدة لتقول

الفائض عنه إلى الفقراء ولم يتذكّر أبدًا الوصية: لا تتوقّف أبدًا عن الإحسان للفقير، ولا تدع أبدًا الرحمة والحق جانبًا بل وزّع خبزك للجائع. هذا ما كان يصرخ به الأنبياء والمعلّمون كلهم لكنه لم يصغِ لذلك. وهكذا لم يعد هناك موضع يخزن فيه أثماره، بينما نفسه الجشعة لم تشبع. كان يضيف ثمارًا جديدة على السابقة فتزداد ثروته إلى أن وصل إلى مثل هذا المأزق. وبسبب الطمع لم يُرد أن يتنازل عن خيراته السابقة كما لم يستطع أن يستقبل الجديدة بسبب كثرتها. لكل ذلك لم تجد أفكاره حلاً. ماذا أصنع؟ من هو الذي يستطيع أن يشاركه ألمه وهو محاصر هكذا؟ حزينٌ من أجل الخيرات الحاضرة وأكثر من ذلك من أجل الخيرات المنتظرة. تعطيه الأرض موارد وتخلق عنده تنهدات. تعطيه أثمارًا فتنشأ عنده اهتمامات وحزن رهيب. إنه يحزن كالفقراء. ألم يكن عذابه شبيهًا بالذي يعانيه الفقير؟ تضطرب نفسه والهمّ يأكله. هذا الذي يفرّح عادة الآخرين يزعج هنا الجَشِع. لا يفرح بسبب امتلاء أهرائه بل تحزن نفسه لكثرة الثروة الفائضة مفكرًا ربما تذهب إلى الغرباء إحسانًا لبعض الفقراء ...

القديس باسيليوس الكبير

ليسوع «إني تائب عن كل خطاياي». لذا عليك أن تكون مستعداً قبل أن تأتي الآخرة، وأن تكون إلى جانب المسيح، لأن «ذلك اليومُ وتلكَ الساعةِ لا يعلمُ بهما أحدٌ ولا ملائكةُ السمواتِ إلا أبي وحده» (متى ٢٤:٣٦).

الإنسان يستعد خلال حياته، ولأنه لا يعرف متى تأتي الآخرة عليه أن يكون مستعداً في كل لحظة ولا يتبع المُضلين. لذا يحذّرنا الرب «انظروا لا يضلّكم أحدٌ. فإنّ كثيرينَ سيأتونَ باسمي قائلينَ أنا هو المسيحُ ويُضِلّونَ كثيرينَ... لأنّه سيقومُ مسحاءُ كذبةٌ وأنبياءُ كذبةٌ ويُعطون آياتٍ عظيمةً وعجائبَ حتى يُضلُّوا لو أمكنَ المختارينَ أيضاً» (متى ٢٤:٤-٥، ٢٤). الإنسان يُجرَّب خلال حياته، المهم أن لا يضل. لأن المسحاء الكذبة سوف يقومون بأعمال وكأن المسيح يقوم بها. المهم أن نميّز بين الدجّال والحقيقي. سوف يعيش المؤمن الحروب والمجاعات والأوبئة والزلازل «ولكن الذي يصبرُ إلى المنتهى فهذا يخلُصُ» (متى ٢٤:١٣). من يظلّ صامداً في محبة يسوع وحافظاً لاسم يسوع في قلبه وعقله، يخلص.

يشدّد الرب في متى ٢٤:١٥-٢٨ على سرعة النهاية وضيق الوقت. لا وقت لتقرّر ما إذا كان هذا الحدث أو العلامة إشارة للمجيء. فالأحداث والعلامات هي جزء من النهاية، لذا يجب أن تكون قد قرّرت ما إذا كنت مع يسوع أو مع غيره. «متى نظرتم رِجسَةَ الخرابِ... فحينئذٍ ليهرُبِ الذينَ في اليهوديَّةِ إلى الجبالِ. والذي على السطحِ فلا ينزل ليأخُذَ من بيتِهِ شيئاً والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائِهِ ليأخُذَ ثيابَهُ» (متى ٢٤:١٥-١٨). زمن الآخرة صعب ووقت شنيع لا تستطيع وصفه: «ويلٌ للحبالى والمُرضعاتِ في تِلكَ الأيام... لأنه يكون حينئذٍ ضيقٌ عظيمٌ لم يكن مثلُهُ منذُ ابتداءِ العالمِ إلى الآنَ ولن يكونَ» (متى ٢٤:١٩-٢٠). ضيق الآخرة لا يمكن وصفه. يتعطل الكلام. كان ينبغي أن تأخذ قرارك سابقاً لأن النهاية سوف تكون مثل البرق (متى ٢٤:٢٧).

(يتبع)

عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد أبينا الجليل في القديسين نيقولاوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٥ كانون الأول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الاثنين ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية.

معرض

برعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس تدعو «لجنة القديسة مرتا» في رعية القديس ديمتريوس – الأشرفية لمشاركتها في معرضها الثاني «من نِعَم الرب» للأشغال اليدوية والمونة. يُفتَتَح المعرض عند السادسة من مساء الجمعة ١٠ كانون الأول ويستمر يومي السبت والأحد ١١ و١٢ كانون الأول من العاشرة صباحًا ولغاية العاشرة مساءاً في مركز نشاطاتها في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb